أَخْلَاقُ الطَّبِيبِ

الدكتور
محمد بن لطفي الصباغ

جمعية الكتاب والسنة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

راف RAF

أخلاق الطبيب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثالثة

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخلاق الطبيب

الدكتور

محمد بن لطفي الصباغ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

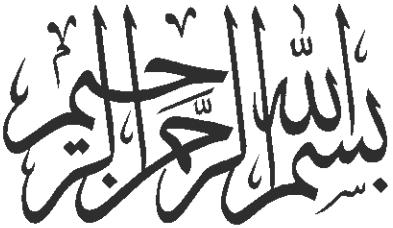
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلِلْ فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد، فهذه الرسالة في أصلها محاضرة فُرض عليّ عنوانها وهو «أخلاق الطبيب المسلم» وألقيتها في كلية الطبّ في جامعة الملك

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سعود. وقد اقترح كثير من الأطبّاء الأفاضل الذين سمعوها أن أنشرها، لما توقعوا من الفائدة المرجوّة من نشرها، فاستعنت بالله، وأعدت النظر فيها في إجازة قضيتها في مصر.

وها أنذا أقدمها للطبع متضرّعاً إلى الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم. وإنّي لأسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين عامّة، فواقعهم مؤلم جداً، والأمل كبير في صلاحهم إن شاء الله.

ولا يفوتني أن أشكر كلاً من الأساتذة الفضلاء الدكتور محمد هيثم الخياط، والدكتور محمد سليم العوا، والأستاذ عبد الرحمن الباني الذين تفضلوا بقراءتها ووافوني بملاحظات قيمة أفدت منها، فجزاهم الله أجزل الخيرات، والله وليّ التوفيق.

الإسكندرية يوم عرفة لعام ١٤١٦هـ.

محمَّد بنْ لطفي الصَّبَّاغ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمهيد

إن الحديث عن خلق الطبيب المسلم يوجب أن نلمّ بكلمة موجزة عن أخلاق الطبيب في نظر الإسلام، وأن نتحدّث عن نجاح الإسلام العظيم في إقامة نظام أخلاقيّ سامٍ، استطاع أن يحكم المجتمع المتحضّر قروناً عدة، وأن يُنشئ حضارة عظيمة أدّت للإنسانيّة فوائد لم تؤدّها حضارة أخرى غيرها.

وقد استمرّ هذا النظام الأخلاقيّ قائماً في حياة المسلمين إلى عهد قريب، على الرغم من الهجمات التي تعرّض لها الإسلام وأهله من عسكريّة وفكريّة واجتماعيّة واقتصادية وسياسية.

وما يزال كثير من معالم هذا النظام موجوداً في حياة المسلمين؛ فإنه أصبح جزءاً من هويّة هذه الأمة، ليس من السهل الانسلاخ منه بالكليّة.

ويتعرّض هذا النظام الأخلاقيّ في الآونة الأخيرة إلى هجوم مركّز.. وقد أصابه في كثير من ديار المسلمين شيء من الاهتزاز والتأثّر. ولكن ما زالت جذوره قائمة في أعماق نفوس كثير من الناس.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أكبر العوامل التي يستخدمها أعداء الإسلام في زحزحة الناس عن هذا النظام الأخلاقي الأمور الآتية:

١. الإعلام.

٢. ومناهج التعليم.

٣. والأوضاع الاقتصادية للفرد.

٤. والإرهاب والعنف.

أما الإعلام فقد كان يمشي بخطوات وئيدة في تحقيق غرضه الذي أشرنا إليه، ولكنه بسبب التقنية الفضائية أضحى يمشي بخطوات سريعة في تحقيق ذاك الغرض.

وأنا أعترف أن درء خطره ليس أمراً سهلاً أبداً، ولذا لا بدّ من أن تتعاون الأسرة والمدرسة والمسجد وأجهزة الإعلام المحلية على إعداد الحصانة التي تواجه ذاك الهجوم، وهذا أمر غير ميسور بالقدر الكافي، فالمطلوب منا مضاعفة العمل.

إنّ المحطات الفضائية التي غزتنا لا تمكن السيطرة عليها إلا بلون من التربية المحكمة الهادفة.

والصدق والإخلاص والتصميم والتخطيط والدأب الجادّ أمور لا بد منها في هذه المعركة.

* * *

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما مناهج التعليم فهي أساس مهمّ في الحفاظ على عقيدة الأمة وأخلاقها.

وقد تنبّه لخطر المناهج العلماء التربويّون، فذهبوا إلى أن صياغة الأمة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمناهج التعليم، وقد صدرت كتب كثيرة في ديار الغرب وأمريكا واليابان تُنبه على أهميّة مناهج التعليم ودور التربية.

فالجرائم والفساد الإداري والتخلف الفكري والسياسي والاجتماعي تتولّد من قصور المناهج أو انحرافها ومن إهمال المؤسسات التربوية.

ولا بُد من الإشارة إلى دور المعلّم؛ فإنه لا يكفي المنهج الصالح، بل لا بُدّ من أن يكون الذي ينفذه شخصاً صالحاً.

إن القدوة كما تُطلب في الأسرة فهي مطلوبة أيضاً في المؤسسة التعليمية.

إننا بحاجة إلى أيد مؤمنة وقلوب واعية تتولى المهمة التعليمية في بلاد المسلمين.

وهذه مهمة المصلحين. وأنا أنادي في هذه السطور كل غيور واعٍ أن يسارع إلى عمل ما يستطيع عمله في هذا المجال قبل أن يحالّ بينه وبين ما يستطيع.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن واقع مناهج التعليم والمعلمين ينذر بخطر ماحق لهذه الأمة، وستخسر البشرية كلها خسارة عظمى إذا غابت قيم الإسلام عن هذا الوجود.

* * *

وأما الأوضاع الاقتصادية للفرد فهي على جانب كبير من الأهمية.

ليس من قبيل المصادفة أن نجد ازياد عدد الفقراء في بلاد المسلمين، وذوبان الطبقة المتوسطة التي هي مظنة الخير في الناس وتحولها إلى الطبقة الفقيرة.

إن الفرد الذي تشغله لقمة العيش، ويشغله تحصيل ضرورياته، لا نستطيع أن نطالبه بالعمل من أجل المثل العليا للأمة.

بل إن الحاجة الملحة والجوع الموجع قد يضطران المرء إلى أن يتنازل عن بعض أخلاقه ومثله العليا.

فكثير من حوادث السقوط الأخلاقي دفع إليها الحاجة وضيق الدخل.

لقد اتسع نطاق الضروريات في البيت، وتفاقم الغلاء، وبقي المورد المالي على حاله.. أو تناقص، فَحَمَلَ هذا الوضع بعض الناس على الرشوة والاختلاس وبيع العرض وما إلى ذلك.

لا يمكن أن يقع هذا كله مصادفة.. وأكاد أجزم أن ذلك سار على

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سنن مخطط مرسوم.

فنحن بحاجة إلى علاج هذا الأمر، فإن لم نستطع فلا أقل من قيام التعاون بين المسلمين الصالحين في سبيل ذلك؛ ففي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية؛ فهم مني وأنا منهم»[1].

إن العمل على الحفاظ على سلامة الذمم، وصيانة الأعراض، والإبقاء على التمسك بالأخلاق الفاضلة، واجب يجب أن نسعى إليه ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وهو ميسور إن شاء الله إن صدقنا مع الله واتخذنا الوسائل الصحيحة.

* * *

وأما الإرهاب والعنف فهو وسيلة يستخدمها بعض الطواغيت الذين يرهبون الناس ليحملوهم على الانحراف.

فيحاربونهم في أرزاقهم، ويلقون ببعضهم في غياهب السجون ويقتلون وينكلون.

ولقد قصّ الله في القرآن علينا قصة فرعون في أكثر من موضع من

(١) البخاري ٣/ ١٨١ ط السلطان عبد الحميد (باب الشركة في الطعام)، «والفتح» ٥/ برقم ٢٤٨٦، و«صحيح مسلم» برقم ٢٥٠٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكتاب الكريم.

إنّ كم الأفواه والتهديد بالسجن والقتل، وتجويع الناس أساليب تُخيف قطاعاً كبيراً من الناس، وتجعلهم يتنازلون عن بعض أخلاقهم أو أكثرها.

وهذا لا يملك المصلحون مقاومته أو استبعاده إلا بالصبر وتعويد الناس على الصبر، وانتظار الأجر الجزيل من الله.

قال تعالى حاكياً قول الرسل الذي كُذّبوا وأُوذُوا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١١-١٤].

والصبر من صفات أولي الألباب:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٤]

* * *

وعلى الرغم من كلّ ما سبق فإنَّ حصناً من حصوننا ما زال الأمل معقوداً عليه، وهو مستهدف أعظم الاستهداف، ألا وهو الأسرة.. ويمدنا هذا الحصن بعدد من الصالحين والدعاة الصادقين. فلنحرص على سلامته؛ فهو الذي بقي لنا من تلك الحصون.

فليكثر الصالحون من الإنجاب، وليعلموا أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، وأن المربي هو الله، وأن علينا أن نبذل جهدنا في سبيل إعداد أبنائنا بالحكمة والتخطيط، ثم ندع الأمر لله سبحانه؛ فالله تبارك وتعالى يقول لعبده وحبيبه محمد ﷺ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [البقرة:٢٧٢].

إن البشرية تتعرض اليوم إلى انهيار خُلُقي[1] مدمّر، وليس من سبيل إلى اتّقائه إلا الإسلام؛ إنه هو المنقذ لنا وللإنسانية كلها.

(١) انظر كلامنا بشأنه بعد قليل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمةٌ بلا أخلاق أمةٌ متخلفة، لا يمكن أن تكون متحليّة بالسمات الإنسانية، وهذا واقع كثير من الأمم اليوم؛ ذلك لأنها انسخلت من آيات الله التي أنزلها على أنبيائه لترشد الناس إلى الحق والسعادة في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٩]

أجل إن لهم صورة الناس بأن لهم قلوباً وأعيناً وآذاناً، ولكنهم لا يحسنون استعمالها، فلا يفقهون بتلك القلوب، ولا يبصرون بتلك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العيون، ولا يسمعون بتلك الآذان.

إنهم أغلقوا على أنفسهم منافذ الهداية والرشاد؛ فما الفرق بينهم وبين الأنعام؟ إنهم كالأنعام.. بل هم أضل، لأن الأنعام ليست لها عقول يمكن أن تفكر بها، وليست لها عيون تكون طريقها إلى التأمل والمعرفة، وكذلك الآذان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخلاق الطّبيبْ

كان من الأجدر أن يتولى الحديث عنها طبيب.. وأنا لست طبيباً، ولكنني وافقت على الكلام في هذا الموضوع بسبب طلب أخ فاضل، فقد حاورني مراراً، وألحّ عليّ في الطلب، وكنت أتهرب من القبول، ولكنّه ظل يلاحقني ويحاصرني حتى أخذ مني وعداً بالموافقة.

وهناك أمر سهّل على نفسي قبول التحدث في هذا الموضوع؛ هذا الأمر أني لست غريباً عن الأطباء؛ فقد قُضي عليّ أن ألزم وأساكن الأطباء مدة خدمتي الإلزامية في الجيش السوري؛ فقد كنت ضابطاً مجنداً متخصصاً بسلاح الإشارة، وكان مما جرت به العادة في مواقع الجيش في الجبهة السورية أن يكون ضابط الإشارة مع الطبيب. وما أدري إن كان هذا العرف جارياً حتى الآن أم لا.

وقد كان هؤلاء الأطباء يحدثونني عن أعمالهم، ويفضون إليّ ببعض الأسرار التي يحملونها في صدورهم بسبب مهنتهم، ويقصّون عليّ ذكريات من واقع ما جرى معهم.

ونمت معلوماتي الطبية بسبب هذه الملازمة التي استمرت قريباً من سنتين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد خلصت إلى حقيقة مهمة، وأرجو ألا تسوء هذه الحقيقة أحبابنا من الأطباء. خلصتُ إلى أنّ مهنة الطبيب شاقّة صعبة خطيرة، تهدّد دين الرجل ومستقبله يوم القيامة إن لم يأخذ نفسه بالحيطة والحزم والبعد عن المخالفات والشبهات.

ولن أبوح في هذه الرسالة بما سمعته من التجارب والوقائع التي وقع فيها هؤلاء الأطباء الذين عاشرتهم؛ فذاك حديث يطول ويخرج بي عن حدود البحث الذي نعالجه، ولكن يكفيني أن أقرّر أن هذه المهنة خطيرة جداً، فليأخذ المرء حِذْره.

وكنت قبل الخدمة العسكرية عاشرت عدداً من طلبة الطب؛ فقد كنا نتعاون مع الصالحين منهم على إقامة الصلاة في مسجد الجامعة السورية في دمشق، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان لي وما يزال أصدقاء كرام يعملون في هذه المهنة الخطيرة، وكانوا يحدثونني بقصص تؤدي إلى تلك النتيجة التي خلصت إليها.

والكلام على خلق الطبيب المسلم لا بد أن يقدّم له بالحديث عن الأخلاق في الإسلام.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأخْلاق في الإسْلام

١- إنّ الأخلاق في الإسلام مرتبطة بالإيمان أعظم الارتباط، وهذا يدل دلالة واضحة على الأهمية العظمى التي يوليها الإسلام للأخلاق.

واقرؤوا إن شئتم عناوين أبواب الإيمان في «صحيح البخاري» لتَروْا هذه الحقيقة جليّة.

وسأورد فيما يأتي عدداً من عناوين هذا الموضوع في كتابه «الجامع الصحيح».

فمن هذه العناوين:

* المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.
* إطعام الطعام من الإسلام.
* من الإيمان أن يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه.
* من الدين الفرار من الفتن.
* الحياء من الإيمان.
* إفشاء السلام من الإسلام.
* كفران العشير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها إلا بارتكاب الشرك لقول النبي ﷺ: «إنك امرؤٌ فيك جاهلية»، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨].

ثم أورد حديث أبي ذر بسنده إلى المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حُلّة وعلى غلامه حُلّة، فسألته عن ذلك فقال: إني سابيت رجلاً فعيّرته بأمّه.

فقال النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيّرته بأمه؟! إنك امرؤ فيك جاهلية. إخوانكم خَوَلكم، جعلهم الله تحت أيديكم. فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[1].

* علامة المنافق.

وأورد حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن

(١) البخاري ١/ ١٤ ط السلطان عبد الحميد، وفي ط «الفتح» ١/ برقم ٣٠، و«صحيح مسلم» برقم ١٦٦١، و«سنن أبي داود» برقم ٥١٥٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خان»[1].

* الدين يسر.
* أحب الدين إلى الله أدومه.
* الدين النصيحة.

.... وهكذا... وكلّها تتصل بالأخلاق.

٢- والنظام الأخلاقي في الإسلام نظام متكامل متميز واقعي؛ فهو لم يتجاهل النفس الإنسانية وتأثير الغرائز والنزعات في هذه النفس.

مثل: (حبّ المال- وحبّ التملك- والغريزة الجنسية- وحبّ الانتقام....).

نعم لم يتجاهل ذلك، ولكنه أخذ بهذه النفس حتى استطاع أن يجعلها تحقق المثل التي كانت تتراءى لكثير من الفلاسفة والمصلحين أهدافاً بعيدة، فجعلها الإسلام أمراً واقعاً ملموساً.

وربط هذا النظام بين العبادة وأثرها الخلقي في نصوصه المقدسة الثابتة.

* فقد ذكر القرآن الكريم أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

---

(١) البخاري ١/ ١٥ ط السلطان عبد الحميد، وفي ط «الفتح» ١/ برقم ٣٣، و«صحيح مسلم» برقم ٥٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]

* وقرر القرآن الكريم أن الزكاة تطهر النفس من أدران النقص.

قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ولمعنى الزكاة اللغوي دلالة على هذا، وهناك صدقات معنوية كلها ترتبط بالخلق الزكي وتأصيله في نفس المسلم.

فمن ذلك حديث أبي ذرّ الذي رواه الترمذي قال ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وإماطتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة، وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة»[1].

وحديث أبي هريرة الذي رواه البخاري ومسلم:

---

(١) رواه الترمذي ط استانبول ٤/ ٣٤٠ برقم ١٩٥٦ (وانظر «صحيح الترمذي» للألباني برقم ١٥٩٤)، وابن حبان (وانظر «موارد الظمآن» ٨٦٤)، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» برقم ٨٩١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«كلّ سلامى من الناس عليه صدقة كلّ يوم تطلع فيه الشمس: يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها أو يرفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة يمشيها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة»(١).

* وقد ذكر الله في القرآن الكريم أن الحكمة من فرض صيام رمضان هي بلوغ التقوى؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وكلمة التقوى في الدين هي جماع الأخلاق. ويقول ﷺ: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقلْ: إني صائم»(٢).

ويقول ﷺ: «من لم يدعْ قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في

(١) رواه البخاري ٥/ برقم ٢٧٠٧ و٦/ ٢٨٩١ و٢٩٨٩، ومسلم ٢/ برقم ١٠٠٩.
(٢) رواه البخاري ٤/ برقم ١٩٠٤، ومسلم برقم ١١٥١، والنسائي ٤/ ١٦٣ عن أبي هريرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يدع طعامه وشرابه»[1].

وقد ذكر القرآن أنه لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

قال تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي كتاب الله آيات كثيرة تدعو إلى التزام الأخلاق الحميدة، نذكر بعضها فيما يأتي:

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(١) رواه البخاري ٤/ برقم ١٩٠٣، وأبو داود برقم ٢٣٦٢، والترمذي ٣/ ٨١ برقم ٧٠٧ ط استانبول عن أبي هريرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣].

ويقول الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٧٦].

ويقول تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]

وفي السنة المطهّرة أحاديث كثيرة تدعو إلى التزام الأخلاق الكريمة.

لقد دعا النظام الأخلاقي الإسلامي إلى مكارم الأخلاق كلها.. بل إن الرسول الكريم ﷺ قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

ودعا رسول الله ﷺ إلى حسن الخلق في أحاديث كثيرة، وقد ألّف عدد من العلماء كتباً في جمع الأحاديث الخلقية، من أمثال البخاري في

(١) رواه مالك في «الموطأ» ٢/ ٩٠٤ بلفظ: «حسن الأخلاق»، وانظر «الأدب المفرد» ٤٢ و«مكارم الأخلاق» للخرائطي ٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كتابه «الأدب المفرد» والخرائطي في كتابه «مكارم الأخلاق».

* فمن هذه الأحاديث الجامعة الرائعة قوله ﷺ: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإنّ الله يبغض الفاحش البذيء»(١).

والبذيء: الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام.

* ومن هذه الأحاديث حديث النوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم فقال: «البرّ حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٢).

* ومن هذه الأحاديث حديث عبد الله بن عمرو قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً»(٣).

* ومن هذه الأحاديث حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم

---

(١) رواه الترمذي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، وانظر «صحيح الترمذي» للألباني ٢/ برقم ١٦٢٨.

(٢) رواه مسلم برقم ٢٥٥٣، والترمذي برقم ٢٣٩٠.

(٣) رواه البخاري انظر «الفتح» ١٠/ برقم ٦٠٢٩، ومسلم ٢٣٢١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لنسائهم»[١].

* ومن هذه الأحاديث حديث جابر عنه ﷺ أنه قال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» قالوا: قد علمنا (الثرثارون) و(المتشدقون) فما المتفيهقون؟

قال: «المتكبرون»[٢].

والأخلاق التي دعا إليها الإسلام تتصف بصفات عدة، من أهمها الصفات الثلاث الآتية:

١ - أنها أخلاق إيجابية: أي لم تقتصر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على النهي عن الأخلاق الذميمة كالقتل والكذب والزنا والسرقة وما إلى ذلك، بل دعت أيضاً إلى التحلي بالأخلاق الحميدة كالإحسان إلى الفقراء وأداء الأمانة، وفعل المعروف، وما إلى ذلك.

إن الموعظة التي تقتصر في مخاطبة الناس على الخطاب السلبي

---

(١) رواه الترمذي برقم ١١٦٢ وقال: حديث حسن صحيح، وهو في «صحيح الترمذي» للألباني برقم ٩٢٨.

(٢) رواه الترمذي برقم ٢٠١٨ وقال: حديث حسن، وهو في «صحيح الترمذي» للألباني برقم ١٦٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القائم على النهي فقط، قد يكون تأثيرها ضعيفاً، وقد تُحدث ردّ فعل معاكساً إن بالغ الواعظ في إيراد المنهيات.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ الأخلاق السلبية لا فعالية فيها ولا حركية؛ فاجتناب أذى الآخرين مثلاً قد يتحقق من جراء النهي عنه، ولكن هذا النصح لا يعني أن يحسن المخاطب إلى أحد.

ومعلومٌ أنه لا يكتفى بالأمور السلبية إلا عندما يعجز الإنسان عن الإتيان بالأمور الفاضلة.

فقد سأل أبو ذرّ رضي الله عنه رسول الله ﷺ عدة أسئلة وكان ﷺ يجيبه إجابات فيها الحكمة والتسديد والحق، فمن ذلك أنه سأله:

أيّ الرقاب أفضل؟

قال ﷺ: «أنفسها عند أهلها وأكثرها ثمناً».

قال قلت: فإن لم أفعل؟

قال: «تعين صانعاً أو تصنع لأخرق».

قلت: يا رسول الله أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل؟

قال: «تكف شرك عن الناس فإنها صدقة منك على نفسك». متفق عليه[1].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ١/ ٦٢، وفي طبعة عبد الباقي ١/ برقم ٨٥، وأخرجه البخاري في كتاب العتق ٣/ ١٢٦، وفي «الفتح» ٥/ برقم ٢٥١٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- أنها عملية؛ فهي ليست نظرية ولا بعيدة عن التطبيق، فلا يدعو الإسلام إلى أخلاق تتعارض والفطرة الإنسانية، لأنها عندئذ تكون بعيدة عن التطبيق.

قد يُرغّب في الأخلاق المثالية ولكنه لا يلزم الناس بها، فإيثار الآخرين بالطعام ولو كان المرء بحاجة إلى الطعام، هذا غير مطلوب على وجه الإلزام، ولكن لو فعله أحد كان أمراً محموداً.

فقد أثنى تبارك وتعالى على تلك الأسرة الفاضلة من الأنصار التي أكرمت ضيف رسول الله ﷺ وآثرته على نفسها وباتت الأسرة جائعة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني مجهود. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك. حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء.

فقال النبي ﷺ: «من يضيف هذه الليلة؟».

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله.

فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت لا، إلا قوت صبياني. قال: فعلليهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج، وأريه أنا نأكل.

فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: «لقد عجب الله من صنعيكما بضيفكما الليلة» فنزلت هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][(١)].

فعل الأنصاري هذه المكرمة مع أن الرسول ﷺ يقول: «اليد العليا خير من اليد السلفى وابدأ بمن تعول»[(٢)].

٣- أنها أخلاق شاملة: تُطلب من المسلم في السرّ والعلن، في الأسرة وفي خارج الأسرة، في الأمور الخاصة والأمور العامة، وفي معاملة الأقرباء ومعاملة الأجانب، وفي معاملة الناس جميعاً.

وقد حدثنا القرآن عن اليهود فقال: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

* * *

وبعد فإنا في أزمة خلقية سببها ضعف الوازع الديني في كثير من

---

(١) رواه البخاري انظر «الفتح» ٨/ برقم ٤٨٨٩، ومسلم ٦/ ١٢٧، وفي طبعة عبد الباقي ٣/ برقم ٢٠٥٤.

(٢) رواه البخاري انظر «الفتح» ٣/ برقم ١٤٢٧، ومسلم ٢/ بأرقام ١٠٣٤، ١٠٣٦، ١٠٤٢، والنسائي ٥/ ٦١ و٦٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس، وهذا قادنا إلى اتباع اليهود والنصارى مع أن الرسول العظيم ﷺ حذرنا من ذلك أعظم التحذير؛ فقد قال ﷺ: «لتتبعنَّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، وباعاً بباع، حتى لو دخلوا جُحر ضبّ لدخلتموه». قالوا: يا رسول الله آليهود والنصارى؟

قال: «فمن إذن؟»[1]. رواه البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم.

إنّ اليهود والنصارى وتلامذتهم من أبناء المسلمين جادّون في صرف هذه الأمة عن أخلاقها، ويتبعون في ذلك أحدث الوسائل التقنية، ويعقدون لذلك المؤتمرات[2].

ويؤسفني أن أقرر أنهم قد أحرزوا بعض النجاح والتقدم في عدة قطاعات من مجتمعنا.

ومن هنا فلا بدّ- لكي ننجو بين يدي الله- من أن ننكر الواقع السيّئ، ونحذر أمتنا وأجيالنا القادمة من مخاطر هذا الانزلاق.

والصالحون كثير، ولكنهم ضعفاء، وليس لهم من الأمر شيء، وكثير منهم لا يبالون، وربما كان بعضهم لا يشعر بدرجة الخطر الرهيبة لهذا الواقع.

---

(١) انظر البخاري ٦/ برقم ٣٤٥٦، ومسلم ٤/ برقم ٢٦٦٩، وانظر تخريج الحديث بتوسع في كتابي «من هدي النبوة» ص١٢٧ وما بعدها.

(٢) منها مؤتمر السكان في القاهرة ١٩٩٣م، ومؤتمر بكّين عن المرأة ١٩٩٥م، وقبل ذلك مؤتمرات المنصّرين والمستعمرين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فكان بعضهم في أعلاها وبعضهم في أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقَوا من الماء مرُّوا على مَن فوقَهم، فقالوا: لو خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نُؤْذِ من فوقنا. فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وهلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجَوْا ونجوا جميعاً»(١).

صحيح أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولكن هذا في يوم القيامة؛ إذ المسؤولية في ذلك اليوم شخصية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر: ١٨].

ولا يعني كلامنا هذا أن الفرد الصالح لا يكون مسؤولاً يوم القيامة إن لم ينكر المنكر إن كان قادراً عليه.. بل إن هذا من المسؤولية الشخصية. إنّ على كل من يستطيع أن يقول كلمة الحق أن يقولها بالشكل المناسب وبالحكمة وبالأسلوب المقبول، فإذا حيل بينه وبين هذا القدر من الإنكار فقد نجا من المسؤولية. وما أعظم فقه سيدنا أبي بكر رضي الله عنه الذي كان يقول: «يا أيها الناس إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢١. وفي ط «الفتح» ٥/ برقم ٢٤٩٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»[(١)].

أما في الحياة الدنيا فالمسؤولية أما القضاء مسؤولية شخصية، فلا يؤخذ أحد بجريرة أحد.

ولكن لا بد للمجتمع من أن يتأثر بأعمال الأفراد وبالوضع الأخلاقي الذي يسود ذاك المجتمع، كما دل على ذلك حديث السفينة الذي ذكرناه آنفاً، وكما دل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥].

إن اقتناع أبناء الأمة بأنّ الإفساد والمعصية لا ينحصر أذاهما ولا آثارهما على المفسد والعاصي بل يعم المجتمع ليُنمِّي في كل فرد من أفراد الأمة الحرص على حماية المجتمع من الانهيار والدمار، ويحملهم على التواصي بالخير والتناهي عن الشر.

وإذا التزم أفراد الأمة بشرع الله، والبعد عن محارمه، وتحلَّوا بالخلق الحسن، سعدوا وأسعدوا من حولهم.

---

(١) رواه أبو داود ٤٣٣٨، وابن ماجه ٤٠٠٥، وابن حبان ١٨٣٧، وأحمد في «المسند» ١/ ٢، والترمذي برقم ٢١٦٨، وهو في «صحيح الترمذي» للألباني برقم ١٧٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولنقرأ هذا الحديث الجميل الجامع الذي يوصينا بالتقوى، وهي جماع الخير، وبمخالقة الناس بالخلق الحسن، ويدلنا على كيفية التخلص من آثار الذنوب، يقول ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناس بخلق حسن»[1].

إن هذا الالتزام يسعد النفس، ويطمئن القلب، ويقوي الإرادة، وعندما يكون المرء سعيداً في حياته، مطمئن القلب، قوي الإرادة، تتفتح المواهب الكامنة فيه، وتتفجر الطاقات الهائلة التي أودعها الله في هذا الإنسان، فيكون العطاء ضخماً كبيراً، ويكون الخير عاماً، والإبداع عظيماً.

وهذا يعود على الفرد نفسه بالخير والتقدير، ويكون قدوة، ويعود على الأمة بالتقدم.

وإذا كان الدافع للاتصاف بحسن الخلق مرتبطاً بابتغاء مرضاة الله واتباع دينه كان الاتصاف به عاماً: في السرّ والعلانية، وفي اليسر والعسر، وفي حال الإقامة في بلده، والبعد عنه، وفي حالة الانتفاع من هذا الاتصاف وفي حالة التعرض للضيق والإيذاء بسبب الاستمساك بالخلق الكريم.

وعندئذ سيكون صاحب الخلق الكريم أعظم نفعاً وأكثر أصالة وأدوم ثبوتاً.

---

(١) رواه الترمذي ٣/ ١٤١، وأحمد ٥/ ١٥٣، والدارمي ٢/ ٣٢٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك لأن الدوافع إلى التحلّي بمكارم الأخلاق متعددة؛ فهناك من يحاول الاتصاف بحسن الخلق ليثق الناس به وليروّج تجارته.

وهناك من يتكلف الاتصاف بحسن الخلق ليتزوج من فتاة.

وهناك من يتكلف الاتصاف بحسن الخلق ليتولّى منصباً.

فهؤلاء يعودون إلى ما كانوا عليه عندما يصلون إلى مرادهم، والأعمال بالنيات، قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»متفق عليه[1].

وهذا التخلق مؤقت، وسرعان ما ينكشف صاحبه كما قال الشاعر:

كل امرئ صائر يوماً لشيمته وإن تخلق أخلاقاً إلى حين

وكما قال زهير:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

والدوافع الأخيرة دوافع نفعية تتصل بالنزعة المادية التي تسود العالم اليوم والتي كان من نتائجها هذا الانهيار الخلقي.

(١) انظر «صحيح البخاري» ١/ برقم ١، و«صحيح مسلم» ٣/ برقم ١٩٠٧، و«سنن أبي داود» ٢/ برقم ٢٢٠١، و«سنن النسائي» ١/ ٥٨، و«سنن ابن ماجه» ٢/ برقم ٤٢٢٧، و«مسند أحمد» ١/ ٢٥، و«جامع الترمذي» ٤/ برقم ١٦٤٧، وهو في «صحيح الترمذي» للألباني برقم ١٣٤٤.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الانهيار الخُلُقي المُعَاصِر

تسود العالمَ - (المتمدن!)- اليوم موجةٌ من الانهيار الخلقي شنيعة جداً، وقد بدأ هذا الانهيار يغزو بلادنا - وا أسفاه- ومجتمعاتنا الإسلامية.

ولن أستطيع استقصاء مظاهر هذا الانهيار ولا ذكر كلّ الأخلاق السيئة التي تنتشر، ولذا فسأكتفي بلمحات.

إن ذاك العالم الماديّ (المتمدن!) قد استبعد الدين من حياته، ولم يَبْقَ في اهتمامه اليوم إلا أمران هما:

* المصالح المادية.
* وتأمين الشهوات الغريزية بأي طريق.

* فالمرء في ذاك العالم - في سبيل تحقيق مصالحه المادية- يسرق ويختلس، وما هذه العصابات الإرهابية التي نسمع أنباءها حيناً بعد حين إلا ثمرة من ثمار سيطرة هذا المبدأ على الناس في تلك المجتمعات، ألم يأتكم نبأ رؤساء دول ووزراء في إيطاليا وكوريا وبلجيكا يحاكَمون بتهمة قبول الرشوة واختلاس أموال الدولة؟!

قال الدكتور مصطفى محمود من مقالة رائعة بعنوان (مسلمون

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلاماً)[1] ما يأتي: [نحن نشهد عصراً عجيباً لا تتورع فيه جهات القضاء من أن توجه المسألة إلى أعلى سلطة في أمريكا وأوروبا، فتتهم رؤساء في كراسي الحكم بالرشوة والفساد وتقدمهم إلى المحاكمة..

جميع الرؤساء في اليابان من (تاناكا) إلى (موریاما) اتُّهِموا في قضايا رشوة وعمولات واستغلال نفوذ.

العائلة المالكة البريطانية كلها ظهرت في صحف الفضائح..

(برلسكوني) ومن قبله (جوليو أندريوتي) وأربعة آلاف وزير إيطالي اتهموا باستغلال النفوذ وبعلاقات بالمافيا ورشاوي بالملايين.

كلينتون متّهم حالياً هو وزوجته في قضايا أراض وتهرب ضريبي.. ومن قبله نيكسون أخرجوه من البيت الأبيض بقضية مشهورة.

زوجة ماوتسي تونغ وعصابة الأربعة في الصين.. وبناظير بوتو في الباكستان.. ورئيس كوريا الجنوبية... قدموا للمحاكمة. ووقف الرئيس الكوري يعتذر للشعب عن جرائمه.

ستة وزراء سابقين في الهند وثلاثة وزراء حاليين في حكومة (نارسيماراو) مقدمون للمحاكمة الآن.

---

(١) نشرت هذه المقالة القيّمة في جريدة (الراية) القطرية يوم السبت ١٤ رمضان ١٤١٦هـ الموافق ٣ شباط ١٩٩٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رئيس كولومبيا (إرنستو سامير) مسجون حالياً بتهمة تعاطي أموال من عصابات المخدرات ومعه أكثر من ألفين من كبار موظفيه..

رئيس بولندة (أورلكسي) خرج من الحكم في قضية تجسس لحساب روسيا..

رئيس البرازيل السابق ورئيس المكسيك.. حتى شيراك اتهموه في شقة مجرد شقة][1].

* إننا نسمع أنباء تلك النظرة العدوانية التي ينظرها سادة أوروبا وأمريكا وساستها وشعوبها إلى المسلمين: نظرة مملوءة بالحقد والكراهية والتعالي. ولقد عانى العالم الإسلامي من النزعة الاستعمارية المدمرة، ومن الاستكبار المتعالي الذي عامل به الكفارُ المسلمين، فسلبوا أموالهم وأفسدوا عقولهم، إن هذه النظرة العدوانية مظهر من مظاهر الانهيار الخلقي العام.

* ومن مظاهر هذا الانهيار هذه الحروب المدمرة التي خاضها هذا العالم ولا يزال يخوضها، كما حصل في الحربين العالميتين - على قرب

(١) يوازن الكاتب بين واقع هؤلاء الكفرة مع المنحرفين ولو كانوا ذوي سلطة، وبين واقع الشعوب الإسلامية التي يفرض عليها أن تحيط أمثال هؤلاء بالقداسة والتعظيم، وهذا ينسجم مع عنوان مقالته (مسلمون كلاماً).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما بينهما- وكما حصل في فيتنام وكوريا وفوكلاند والبوسنة والهرسك والشيشان وغيرها.. إن ذلك كله مظهر من مظاهر الانهيار الخلقي العام.

* ومن ذلك خطط هؤلاء القوم لإقامة حواجز تحول دون مجيء الملونين إلى أوروبا وأميركا.

* ومن ذلك الفوضى الجنسية وسيادة الرذيلة وعدّها أمراً طبيعياً يمارس علناً، ولا يجد من يمارسه أي غضاضة فيه، بل بلغ بهم هذا الانهيار إلى إقرار الشذوذ (اللواط والسحاق) قانونياً.

* ومن ذلك ما نشرته جريدة (الشرق الأوسط) في عدد الخميس ٢٧ جمادى الأولى ١٤١٤هـ الذي يوافق ١٣/ ١١/ ١٩٩٣م؛ فقد جاء فيها ما يأتي:

[كلى مسروقة من مشرحة في موسكو، قرنيات أزيلت بملاعق من عيون مصابين بأمراض عقلية في الأرجنتين، أطفال يختفون دون أثر في هندوراس.

مؤشرات إلى سوق سوداء مزدهرة لأعضاء جسم الإنسان يكشف عنها فِلم تسجيلي كندي - بريطاني- إن بيع الأعضاء مقابل عملة صعبة أصبح أحدث مشروع رأسمالي في روسيا، ويتهم جرّاح روسي مشهور بالتربح من هذه التجارة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتشير وثائق تجارية حصل عليها منتجو الفيلم إلى أن شركة روسية باعت:

١٧٠٠ كلية وقلب ورئة.

١٤٠٠ كبد.

١٨٠٠٠ غدة ثيموسية.

٢٠٠٠ عين.

٣٠٠٠ زوج من الخصيات.

والأخيرة تستخدم في صناعة كريمات منشطة]!!

أقول: أي مستوى منحطّ هذا الذي انحدرت إليه هذه النماذج.. إن احترام الإنسان ورعاية كرامته غابت في عالم هؤلاء..

أولَم تأتكم أنباء العدوان على النساء التي تتناقلها وكالات الأنباء وصحف الغرب ونقلت عنها الصحف العربية... أنباء حوادث اغتصاب النساء، وبعض هذه الحوادث قام بها ناس مجرمون، يقتلون النسوة اللائي يعتدون عليهن، وبعضها قام بها ناس كبار لهم مراكز اجتماعية عالية في بلادهم.

وأما اتخاذ الخليلات فهذا بلاء طم وعمّ وانتشر، وبسببه فقد كثير من أصحاب المراكز وظائفهم.

فقد نشرت الصحف في الثمانينات قصة (سيسل باركينسون)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرجل الثاني في الحزب الحاكم في بريطانيا في ذلك الوقت، والذراع الأيمن لـ (تاتشر) رئيسة الوزراء وقتذاك، والوزير المهم، والزوج والأب لثلاث بنات في سن الشباب، عندما ذاعت فضيحة علاقته بسكرتيرته (سارة كيز) وكانت هذه الفضيحة سبباً لخروجه من الوزارة سنة ١٩٨٣م وخسر كل شيء[١].

وذكرت الصحف في الشهر الثامن من عام ١٩٩٢م أن وزيراً في وزارة (ميجور) وهو (ديفيد ميلر) تقوم ضجة حول علاقته بامرأة أخرى، وأن خصومه يهاجمونه من خلال إثبات هذه الواقعة، انطلاقاً من أن هذا السلوك الشائن لا يليق بمسؤول يتولى منصباً كبيراً، وحاول (ميجور) رئيس الوزراء الدفاع عنه، ولكن الصحف في يوم ٢٥/ ٩/ ١٩٩٢م ذكرت أن (ديفيد ميلر) قدم استقالته مساء ٢٤/ ٩/ ١٩٩٢م تحت ضغط الفضائح، وهناك حوادث كثيرة تدل على هذا السقوط الأخلاقي[٢].

بل إن سيطرة الشهوة على الأبوين حملت نفراً من الناس الذي لا

(١) جريدة (الحياة) عدد الجمعة ٢٤ شعبان ١٤١٤هـ الذي يوافق ٤/ ٢/ ١٩٩٤م، وانظر كتاب «عالم المرأة» لعصام حرستاني ومحمد الحسناوي ص١٥٢.

(٢) انظر عدداً من هذه الحوادث في جريدة (الحياة) العدد المذكور.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يخشَون الله على تعذيب أولادهم والتنكيل بهم، لأنهم أزعجوهم! بلْهَ الاعتداءات الجنسية على الأطفال!!

جاء في كتاب «الطفل المعتدى عليه» ما يأتي:

يقدر عدد الأطفال الذين يواجهون اعتداءات بدنية وجنسية في الولايات المتحدة بـ ١٦٠٠٠٠٠ طفل سنوياً[١].

وتقول مجلة (هيكساجون) الطبية المجلد ٦ سنة ١٩٧٨م ما يأتي:

إنه لا يكاد يوجد مستشفى للأطفال في أوروبا وأميركا إلا به عدة حالات من هؤلاء الأطفال المضروبين ضرباً مبرحاً من آبائهم وأمهاتهم[٢].

وتقول مجلة (هيكساجون) أيضاً:

إن الاعتداءات الجنسية على الأطفال من آبائهم هي أكثر بكثير مما هو معروف ومدوّن، كما أن كثيراً من الآباء والأمهات يقومون بتسميم أطفالهم بإعطائهم السموم والعقاقير الخطيرة[٣].

وجاء في كتاب «الطفل المعتدى عليه» توضيح أنواع الاعتداءات

(١) نقلت ذلك من كتاب «الأمراض الجنسية» لمحمد علي البار.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البدنية، وكسور العظام، وارتجاج المخ الناتج عن الضرب، أو رمي الطفل إلى الأرض، وأنواع الشلل التي يصاب بها الطفل، وكسور الأضلاع، وأنواع النزف الخطير، وتمزق الأحشاء، والتهتكات التي تصيب الكبد أو الطحال أو الأمعاء[1].

ونشرت جريدة (الشرق الأوسط) في عددها ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٣م خبراً عنوانه:

(نساء زيمبابوي يلقين بأطفالهن في المجاري والآبار والأنهار).

ونشرت مجلة (المجتمع) في عددها ١١٨٥ تاريخ ٣ رمضان ١٤١٦هـ (٢٣/ ١/ ١٩٩٦م) أن تجارة الجنس تنتشر بشكل مرعب في جنوب شرقي آسيا، وتشمل ذكوراً وفتيات لا تتجاوز أعمارهن في بعض الأحيان ثماني سنوات، بعضهم يُختطفون من قبل عملاء بيوت الدعارة، وبعضهم يُشترون بحفنة ضئيلة من الدولارات من قبل عملاء العبودية الجنسية، ثم ذكرت المجلة النسبة المرعبة التي بلغها استعباد الأطفال من أجل الشهوات الجنسية المحرّمة - في تايلاند والهند والفيلبين وسريلانكا وبانكوك. تقول المجلة:

(وقد أظهرت دراسة في بانكوك أن ٣٠٪ من الفتيات يتاجر بهن

---

(١) المصدر السابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أناس لا فرق بينهم وبين الحيوانات).

ونشرت جريدة (الراية) القطرية في عددها ٨/ ٢/ ١٩٩٦م:

إن زوجين أمريكيين يعتديان على أولادهما، وقد أُدينا في المحكمة بالاعتداء جنسياً على أولادهما الأربعة وتخديرهم وإطعامهم جرذاناً مقلية وصراصير مسلوقة.

واستمرت فترة تعذيب الأولاد أربع سنوات من سنة ١٩٨٩م حتى ١٩٩٤م.

ونشرت جريدة (الشرق الأوسط) في عددها الصادر في ٢٧/ ٢/ ١٩٩٦م أن الإحصائيات في روسيا تشير إلى أن حوالي مليوني طفل في سنّ دون ١٤ عاماً يتعرضون سنوياً لإيذاء والديهم ويلقى ١٥٪ منهم حتفهم بينما ينتحر ألفا طفل.

ويؤسفني أن أقول: إن ملامح من هذا الانهيار بدأت تتسرب إلينا، والذي يراجع الصحف يجد أمثلة على هذا التسرب، فمن ذلك ما جاء في جريدة (السبيل) الأردنية التي نشرت في عددها الصادر في ٢٠/ ٨/ ١٩٩٦م بحثاً عن العنف ضد الأطفال في الأردن. وقد جاء في هذا البحث أن عدد الأطفال ضحايا الاعتداءات الجسدية بلغ في الأردن عام ١٩٩٥م: «١٩٤٧» طفلاً والاعتداءات الجنسية: «٣٨٠» طفلاً وأن كثيراً من حوادث العنف ضد الأطفال تسجل قضاءً

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقدراً.

وقد ورد في هذا البحث أن السيدة إنعام العشا بحكم طبيعة عملها في وزارة التنمية الاجتماعية وعملها مستشارة قانونية في وكالة الغوث أوردت مجموعة من الأمثلة على ما يعانيه عدد من الأطفال في الأردن بسبب ظاهرة العنف الآخذة بالانتشار والتنوع؛ فقد قالت:

ميّ ورامي طفلان دون الخامسة، تم التبليغ عنهما لمركز الأمن بعد أن ضاق الجيران ذرعاً بالصراخ والعويل الدائم والأنين الليلي، الوالد هو الذي اعتدى عليهما بالضرب الشديد؛ فقد استخدم بعض الأدوات في إيقاع الأذى بهما، وقام بقطع طرف لسان الابن بالقطاعة، والضغط على أظافرهما، وقد أثبت الكشف الطبي ذلك.

وأيضاً قام بحبسهما ومنع الطعام عنهما.

ميّ ورامي عانيا كثيراً، بل كادا أن يفقدا حياتهما لولا تدخل الجيران. ترى كم هناك من ميّ ورامي، لا يتم التبليغ عنهم بحجة أن هذا شأن عائلي، وأن الوالد يمكنه ببساطة أن يدعي أن ما يمارسه نوع من التأديب الذي يحق له وفق القانون والعرف العام...

والبحث طويل وفيه تحليل جيد لهذه الظاهرة التي لم يكن مجتمعنا يعرفها أبداً. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومن ذلك أيضاً نبأ مسؤول عن الأمن في المملكة المغربية؛ فقد كان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يرتكب الفاحشة مستغلاً سلطته. وقد نشرت صحيفة (الراية) القطرية[1] تفصيل ذلك تحت عنوان: [أسرار محاكمة ضابط المباحث المغربي الذي اغتصب أكثر من ٥٠٠ سيدة وفتاة - اعترف بفض بكارة ٢٠ فتاة من بينهم واحدة لم تتجاوز ١٤ عاماً]، ثم قالت الجريدة: [يأتي الحكم بإعدام العميد محمد مصطفى ثابت وحش الدار البيضاء لينهي وقائع قضية ظلّت وما زالت فارضة حضورها القوي في الشارع المغربي]، ثم قالت الجريدة: [وهو كان - حسب اعترافاته- يتخذ من أبواب المدارس والكليات والشوارع العمومية أماكن لاصطياد ضحاياه]، وقالت: [وقد ترددت خلال المحاكمة أنباء عن تجميد الحسابات المصرفية لثابت والتي قدرت بأكثر من ٢٠ بليون درهم مغربي وعن استخدام أشرطة الفيديو التي كان يصوّرها لابتزاز شركائه والضغط عليهم.. وأنه كان يستخدم وسائل ضغط ضد ضحاياه كاستغلال حاجتهن إلى وثائق إدارية، أو التدخل لدى جهات معينة، وأكدت المحكمة أنه كان يحتجزهن بالقوة].

* ومن ذلك تحطيم الأسرة، والاستغناء عن الزواج والعدوان من الآباء على أولادهم بشتى صور العدوان الجسدي والنفسي والجنسي-

(١) جريدة (الراية) القطرية في عددها الصادر في ٢٤ رمضان ١٤١٣هـ (الموافق ٢٧ مارس ١٩٩٣م) ورقم العدد ٤١١٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما ذكرنا ذلك آنفاً. والعدوان من الأولاد على آبائهم.

* ومن ذلك ظهور الاتجاهات الهدامة من أمثال النازية والفاشية والشيوعية والعلمانية والمادية والقومية والوجودية والإلحاد. وكل ذلك له تأثير في إفساد الخلق.

* ومن ذلك تسخير التقدم العلمي التَّقَني لاختراع أسلحة فتاكة تقتل الإنسان وتعطّل حواسّه، وهي في الوقت نفسه تحافظ على الآلات والأمتعة!!

وقد تفننوا في اختراع أدوات التدمير كالقنابل الجرثومية والقنابل العنقودية، والقنابل النووية، والأسلحة الكيماوية، وهم ينفقون الأموال الطائلة في تطوير هذه الأسلحة جميعاً لتزداد فتكاً وتدميراً وإهلاكاً للحرث والنسل.

* ومن مظاهر الانهيار الخلقي فشوّ السرقة والاختلاس والغشّ، والاغتصاب، والقتل، والنشل، والزنى، والإخلال بالوظيفة، واستغلالها بالباطل والتخلّي عن القيام بالواجب أو إهماله، والتجسس لحساب الأعداء، واحتلال البيوت رغماً عن مالكيها، وشرب الخمور، وتعاطي المخدّرات، ولعب القمار، والكذب، والغيبة، والنميمة ونحو ذلك.

* هذا وقد شاعت مؤخراً جرائم الأحداث الذين يقلدون ما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَرون في أفلام الفيديو، فينشؤون مجرمين.

وهناك مآس حصلت بسبب التأثر بهذه الأفلام تنشر أخبارها الصحف.

إن هذا الانهيار يواجهه الناس جميعاً ومنهم الأطباء، وهو واقع لا ينكر. فما المنقذ من هذا الانهيار؟

إنّ المنقذ من هذا الانهيار الذي يهدّد وجودنا، ويبدد سعادتنا وكرامتنا إنما هو الإسلام، وليس هناك عاصم غيره.

إنّ أمتنا المنكوبة وأمم الأرض جربت القومية، والاشتراكية، والدكتاتورية، فلم تجنِ من ذلك إلا الصاب والعلقم.

وهذا يحمّل العناصر الواعية المؤمنة مسؤولية كبرى، فلتعرف هذه العناصر مهمتها، ولتدركْ خطر تقاعسها عن القيام بالواجب.

ولا يَفُتنَّ في عضد هؤلاء الرواد الكيد الشديد من أعداء الله لهذا الدين.. هذا الكيد الذي بلغ في الأيام الأخيرة ذروته.

ولقد كان غياب الحلّ الإسلامي سبباً في تفاقم هذا الانهيار.

إننا لنسمع تزايد الإقبال على محرمات الاتصال الجنسي على الرغم من خطر الإيدز الرهيب، وكذلك الإقبال على تعاطي المخدرات،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وضررها البالغ المجرب المعروف[1].

فلا ينبغي أن تصدنا هذه الهجمة الشيطانية الشرسة وهذا الواقع عن النصح والإرشاد والأمر بالخير والتحذير من الشر.

إن الأمة - وهي تعاني من هذا الواقع ما تعاني- بحاجة ماسّة إلى روّاد يكونون مُثُلاً عليا في الأخلاق الفاضلة التي يتحلّون بها عن إخلاص وصدق مع الله.

هؤلاء الرواد سيكونون دعاة إلى الخلق بسلوكهم وبنشاطهم في الدعوة، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، بلسان حالهم وبلسان مقالهم.

إن هؤلاء طِلْبَةُ الأمة اليوم في الأزمة الخلقية التي تعاني منها. والله سبحانه وليّ التوفيق.

(١) وقد كتبت رسالة في حكم تعاطي المخدرات والدخان في الشريعة الإسلامية وقد نشرت في (المجلة العربية) للدراسات الأمنية والتدريب) في العدد ٢٠ رجب ١٤١٦هـ، وأرجو أن تجد طريقها إلى الطبع مستقلة قريباً.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخلاق الطّبيبْ

وبعد، فإذا جئنا إلى التحدث عن الأخلاق التي ينبغي أن يتصف بها الطبيب، فإن ما تقدّم ذكره موجّه لكل إنسان مسلم، والطبيب واحد من أمة الإسلام، ولكنّه واحد ذو خصوصية، وإنّ لكم يا أيها الأطباء سلفاً من أساطين المعرفة عامة والطب خاصة، وقد كُتبتْ في تراجمهم كتب، وذَكَرَ فضلهم الكفرة الذين استفادوا من علمهم وكشوفاتهم، فينبغي أن تتعرفوا عليهم، وأظن أنكم فاعلون.

إن حضارة الإسلام المبدعة أتاحت لكلّ من يعيش في ظلها ويتفاعل معها، ويتخرج في ثقافتها، ويتبنّى منهجها في التربية والتعليم... أتاحت له أن يسهم في العطاء الفكري والإنتاج العلمي، حتى ولو لم يكن من المسلمين.

لقد اشتغل أعلام مسلمون بالطب وخدموه، وكانت منهم كثرة كاثرة في بلاد المسلمين، بينما كانت أوروبا غارقة في ظلمات الجهل والتخلف، والخرافة والهمجية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الطبيب المؤرخ الأمريكي روبنسن في كتابه «قصة الطب»[1]:

[كانت أوروبا في ظلام حالك بعد غروب الشمس، بينما كانت قرطبة تضيئها المصابيح العامة.

كانت أوروبا قذرة، بينما شيّدت قرطبة ألف حمّام.

كانت أوروبا تغطيها الهوامّ، بينما كان أهل قرطبة مثال النظافة.

كانت أوروبا غارقة في الوحل، بينما كانت قرطبة مرصوفة الشوارع.

.. كان أشراف أوروبا لا يستطيعون توقيع أسمائهم، بينما كان أطفال قرطبة العربية يذهبون إلى المدارس.

وكان رهبان أوروبا يلحنون في تلاوة سفر الكنيسة، بينما كان معلمو قرطبة قد أسسوا مكتبة تضارع مكتبة الإسكندرية]...

وأودّ أن أورد حادثتين تتعلقان بالطب، وتدلان على تخلّف الصليبيين الأوروبيين في الطب وتقدم أطباء المسلمين، ذكرهما أسامة ابن منقذ في كتاب «الاعتبار» وكان شاهداً عليهما. يقول أسامة:

[ومن عجيب طبّهم أن صاحب المنيطرة[1] كتب إلى عمي يطلب

---

(١) نقلاً عن كتاب «التربية الإسلامية» للصف الثالث الثانوي في سورية ط١٣٨٢هـ ١٩٦٢م ص٢٢٠،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منه إنفاذ طبيب يداوي مرضى من أصحابه، فأرسل إليه طبيباً نصرانياً يقال له: ثابت، فما غاب عشرة أيام حتى عاد.

فقلنا له: ما أسرع ما داويت المرضى؟!

قال: أحضَروا عندي فارساً قد طلعت في رجله دُمَّلة، وامرأة قد لحقها نشاف.

فعملت للفارس لَبْخة ففتحت الدملة وصلحت.

وحميتُ المرأة ورطَّبتُ مزاجها.

فجاءهم طبيب إفرنجي، فقال لهم: هذا ما يعرف شيء[٢] يداويهم.

وقال للفارس: أيهما أحب إليك تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين.

قال: أعيش برجل واحدة.

قال: أحضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً.

فحضر الفارس والفأس وأنا حاضر، فحط ساقه على قرمة خشب وقال للفارس: اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة اقطعها.

فضربه - وأنا أراه- ضربة واحدة ما انقطعت، ضربه ضربة ثانية،

---

(١) قال محقّق الكتاب قاسم السامرائي: المنيطرة حصن بالشام قريب من طرابلس (ياقوت ٥/ ٢١٧). وهو الآن عند منبع نهر إبراهيم شمال لبنان.

(٢) كذا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فسال مخ الساق ومات من ساعته.

وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة في رأسها شيطان قد عشقها، احلقوا شعرها، فحلقوه، وعادت تأكل من مأكلهم الثوم والخردل، فزاد بها النشاف.

فقال: الشيطان قد دخل في رأسها، فأخذ الموسى وشقّ رأسها صليباً، وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكّه بالملح، فماتت في وقتها.

فقلت لهم: بقي لكم إليّ حاجة؟

قالوا: لا.

فجئت وقد تعلّمت من طبهم ما لم أكن أعرفه][1].

وقال أسامة:

[ومن عجيب طبهم ما حدثنا به (كليام دبور) صاحب طبرية... قال: كان عندنا في بلادنا فارس كبير القدر، فمرض وأشرف على الموت، فجئنا إلى قس كبير من قسوسنا (ويظهر أنه كان يتعاطى الطب) قلنا: تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلاناً؟ قال: نعم. ومشى معنا ونحن نتحقق أنه إذا حط يده عليه عوفي. فلما رآه قال: أعطوني

(١) «الاعتبار» ص١٥٢ فقرة: ١٢٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شمعاً، فأحضرنا له قليل شمع، فليّنه وعمله مثل عقد الإصبع، وعمل كل واحدة في جانب أنفه، فمات الفارس. فقلنا له: قد مات! قال: نعم. كان يتعذب سددت أنفه حتى يموت ويستريح][1].

لقد ذكروا أن عدد الأطباء في بغداد وحدها زمن المقتدر بالله العباسي في أول القرن الرابع الهجري بلغ ٨٦٠ طبيباً، امتُحنوا لنيل الإذن في التطبيب سوى من أعفي من الامتحان لشهرته وسوى من كان في خدمة الخليفة، ولذا فإنهم يقدّرون عدد أطباء بغداد في هذه الحقبة بالآلاف وهي مدينة واحدة[2].

وقد كان عدد الأطباء الذين كانوا في خدمة المتوكل كبيراً يزيد عن ٥٦ طبيباً[3].

وكان سيف الدولة إذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيباً[4].

---

(١) كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ، تحقيق د. قاسم السامرائي، ط ١٤٠٧ هـ، الرياض ص ١٥٦-١٥٧ فقرة ١٣٦.

(٢) «تاريخ آداب اللغة العربية» لجورجي زيدان ٢/ ٣٨٧. وانظر كتاب «أثر العرب في الحضارة الأوروبية» ص ٣٧ للأستاذ عباس محمود العقاد ط٢ دار المعارف سنة ١٩٦٣م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكان للأطباء نظام، وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يراه كفؤاً للتطبيب[١].

وظلّت كتب أطباء المسلمين تدرس في أوروبا مترجمة إلى اللغة اللاتينية إلى زمن متأخر جداً.

* * *

هذا ويستطيع الطبيب المسلم الناجح أن يحقق كثيراً من الأغراض التي يرومها الدعاة بالتوجيه والدعوة والنصح؛ ذلك لأن الناس يأتون إلى الطبيب في حالة ضعف وهم في هذه الحالة أكثر قبولاً للموعظة.

والناس يخافون على أنفسهم، فيستطيع الطبيب أن ينبه الناس إلى خطر شرب الخمور واقتراف الفواحش ومضارّ التدخين ونحو ذلك... فيستجيب الناس له. ويعظم تأثيره عندما يكون هو بسلوكه قدوة في الأخلاق الفاضلة.

طُلب من رجل من أهل العلم أن يعظ الناس فاعتذر، فلما ألحّوا عليه قام ووقف ولم يستطع أن يتكلم، ثم أجهش بالبكاء وقال:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو عليل[٢]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) كتاب «القُصّاص والمذكّرين»: لابن الجوزي، بتحقيقنا ص ٢٧٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أخلاق خَاصَّة بالطّبيبْ

ينبغي للطبيب أن يكون عنده خلق طالب العلم الذي لا يكفّ عن السعي لكسب المعرفة؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وقال ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب دنيا»(١)، وكان رسول الله ﷺ يقول: «.. اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»(٢).

نعم وينبغي له أن يزداد من المعرفة، وأن يقيم توازناً في أوقاته بين الواجبات المتعددة التي على المسلم أن يقوم بها. فيكون له وقت لتلاوة القرآن، ووقت لمطالعة الكتب التي تبصرّه بحقائق الدين وتصله بعصره، ووقت لقراءة المجلات الطبية المتخصصة والكتب الجديدة في تخصّصه الدقيق.

---

(١) «المستدرك» ١/ ٩٢ وهو حديث صحيح، انظر «مختصر المقاصد: للزرقاني» بتحقيقنا رقم ١١٠٣.

(٢) مسلم برقم ٢٧٢٢، وأحمد ٤/ ٣٧١، والنسائي ٨/ ٢٢٨ و٢٥٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعلم ينمو يوماً بعد يوم.. والعلم بحر واسع مهما اغترف الإنسان منه فما يزال أمامه الكثير، إننا كلما اطلعنا على معلومة جديدة يجب أن نعترف أنا كنا جاهلين بها قبل ذلك.

ورائع جداً حديث الخضر وموسى، الذي أخرجه البخاري في «صحيحه» ١/ ٣٠ ذلك أنه بعد أن ركبا السفينة، [جاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرةً أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى. ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في هذا البحر].

كأنه يقول له: أرأيت إلى علمي وعلمك وعلم الأولين والآخرين إنه بالنسبة إلى علم الله كمثل ما أخذ هذا العصفور من هذا البحر.

وصدق الله العظيم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]

والإنسان في الأمور العلمية والروحية إن لم يَنْمُ تراجَعَ، وقد شبّهتُ هذه الحقيقة بالماء الذي تضخه المضخّة فإن الماء الذي في الأنبوب يستمرّ في الارتفاع ما دام الضخّ قائماً، فإن توقف الضخّ انحدر الماء في الأنبوب ولا يبقى في مستواه.

إن التقدم المستمر في العلوم التجريبية حقيقة قائمة.. فلا ينبغي للطبيب المسلم أن يقتصر علمه على ما يحيط به الإنسان العادي من خلال تجربته.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما أحسب أن الطبيب الناجح يرضى بأن يكون كالإنسان العامي، في الطب، بل لا بدّ له من أن يكون متصلاً بالكشوف العلمية عن طريق المجلات والمؤتمرات والندوات العلمية والكتب الجديدة ونحوها.

ولا بدّ له من أن يكوّن لنفسه مكتبة تنمو على تقدّم الأيام، يمدّها بالجديد النافع مما يتصل باختصاصه، وهذا هو الأفضل، وإلا فلا بدّ من أن تكون له ساعات يقضيها في مكتبة الجامعة أو المستشفى أو أي مكتبة عامة فيها مراجع مهمة.

ذلك أن التطور العلمي في مجال الطب مستمر، فعليه مسايرة هذا التطور، وأن يستمر في الجِدّ والدأب وأن يحرص على وقته حرصاً شديداً.

إن الطبيب يعاشر في معظم أوقات عمله المرضى، وهم في الغالب مختلفون عن الأصحّاء الأسوياء في نفسياتهم ونظراتهم ومحاكماتهم.

وهذه المعاشرة - إن لم ينتبه لمعالجتها- ستترك فيه آثاراً واضحة.

ومن أهم وسائل العلاج أن يتخذ له أصدقاء صالحين يذكّرونه بالله وبالواجبات إن غفل أو قصّر، ويعينونه ويشجعونه إن ذكر الله وقام بواجباته، ورسول الله ﷺ يقول: «لا تصاحب إلا مؤمناً ولا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يأكل طعامك إلا تقي»[1] ويقول: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[2]، وليحرص على أن يكونوا ممّن يعملون في غير مهنته، حتى تكون دائرة اهتماماته أوسع أفقاً، وحتى يتصل بمجتمعه اتصالاً أعمق وأشمل وأدق.

ولا بُدّ له من أن يربط نفسه بناس من أهل العلم يقرأ معهم نبذاً من علوم العربية، ويستمتع بقراءة روائع الأدب، ويحفظ شيئاً منها.

ويقرأ مع آخرين مختصين كتاباً في التفسير، وآخر في الحديث، وكتاباً في الفقه وأصوله.

ويشارك في متابعة أخبار أمته أمة الإسلام، ولو كان فيها أخبار مؤلمة.. إنه إن لم يفعل ذلك يكون قد عرّض نفسه إلى التأثر بأولئك المرضى... وإلى أن يكون ضيق الأفق، محدود النظرة.

* إن على الطبيب أن يستحضر دائماً رسالة مهنته الإنسانية، فالطب مهنة ذات مكانة كبيرة توجب على أصحابها أداء حق الانتماء إليها، إخلاصاً في العمل، وصدقاً مع النفس والناس، وعطاءً مستمراً

---

(١) رواه أبو داود برقم ٤٨٣٢، والترمذي برقم ٢٣٩٧، وقال النووي: في «رياض الصالحين» رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به.

(٢) رواه أبو داود ٤/ ٤٨٣٣، والترمذي ٣/ ٢٧٨، وأحمد ٢/ ٣٠٣، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ١٧١، وانظر كتاب «مختصر المقاصد» بتحقيقنا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لتحقيق أسباب العافية، ولاستئصال الأمراض والقضاء على أسبابها.

* وعليه أن لا ينسى الرسالة الإنسانية التي ينبغي أن تحققها مهنة الطب، وأن يصبر على ما يلاقي من العقبات التي تحول بينه وبين بلوغه غايته.

* وعليه أن يكون قدوة للناس جميعاً. فلا يأتي ما ينهى الناس عنه، وعليه أن يستمسك بالمثل العليا والفضائل والقيم الخلقية، يدعو إليها بلسانه وبسلوكه.

* وعليه أن يسوّي بين المرضى في معاينتهم والاهتمام بهم، فلا يفرق بين غني وفقير، وعظيم وحقير، فالكلّ عباد الله، ويحتسب جهده عند الله، فالله لا يضيع أجر أحد مهما كان جهده.

* وعليه أن يعمل على الوصول إلى ثقة مرضاه به، ويكون ذلك بالإخلاص في العمل، ومتابعة السؤال عن المريض، وتطوّر حالته الصحية، بالهاتف وغيره من وسائل الاتصال.

* وعلى الطبيب المسلم أن لا يحصر نفسه بمعلومات ثقافة أمة معينة في الطبّ، بل عليه أن يعدد مصادره، فلا يقتصر على آراء الإنكليز مثلاً، أو الأمريكان، أو الألمان.. بل يبحث عن الحقيقة أينما

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجدت، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها[1].

* وعليه أن ينتفع بتجارب أمته في هذا الموضوع، فيكون على صلة وثيقة بالتراث الطبي الذي تركه علماء المسلمين.

* ولي رأي في المداواة بالأعشاب لا يتسع الوقت للإفاضة فيه، ولكني أقول: إن تراثنا في هذا المجال جدير بأن يدرس ويستفاد مما أثبته العلم وصدّقه التجريب، ولا يصح أن يهمل؛ وحبذا لو قامت دراسات في تراثنا العشبي الطبي تدعمها مؤسسات. ودراسات لأعشاب العالم الإسلامي لمعرفة خصائصها، واصطناع أدوية منها، تغنينا عن استيراد العقاقير من البلاد الأجنبية.

* وعلى الطبيب المسلم أن يحذر من الوقوع في مخالفة الشرع المطهر، كالقيام بالإجهاض؛ فالإجهاض جناية ولو في أيامه الأولى. قال الإمام أبو حامد الغزالي: [وليس هذا - أي العزل- كالإجهاض والوأد؛ لأنّ ذلك جناية على موجود حاصل.

وله أيضاً مراتب:

- وأول مراتب الوجود أن تقع النطفة في الرحم وتختلط بماء

(١) هذه الكلمة الجميلة لم تصح عن النبي ﷺ؛ فقد وردت مرفوعة في الترمذي ٣/ ٣٨٢، وابن ماجه ٤١٦٩، بسند ضعيف. قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم ابن الفضل ضعيف في الحديث.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المرأة، وتستعدّ لقبول الحياة، وإفسادُ ذلك جناية.

- فإن صارت مضغة وعلقة كانت الجناية أفحش.

- وإن نفخ فيه الروح واستوت الخلقة ازدادت الجناية تفاحشاً.

- ومنتهى التفاحش في الجناية بعد الانفصال حياً](١).

قلت: وهذا هو الفهم العميق السليم لهذه المسألة، وهو يردّ على من قال: إن الإجهاض قبل أن ينفخ فيه الروح جائز. وهو قول باطل، لأن الحياة تبدأ من بدء التلقيح، وموضوع نفخ الروح أمر آخر. وكلام الغزالي رحمه الله يبين أن الإجهاض جناية على درجات، وأشدها فحشاً أن يقتل الوليد بعد الولادة.

* وكذلك قتل المريض الذي لا يرجى شفاؤه، وحكمه حكم قتل النفس بغير حق، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

* وكذلك الخلوة بالمريضة دون أن يكون معها محرم، ورسول الله ﷺ يقول: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم» رواه البخاري

(١) «إحياء علوم الدين» ٢/ ٥٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومسلم[1].

* وكذلك فلا يجوز له أن ينظر إليها بشهوة، أو أن يلمس موضعاً لا داعي للمسه منها.

ونعوذ بالله من الفتن.

* وإذا عسر عليه معرفة الحكم الشرعي في أمر طبي فعليه أن يسأل علماء الشرع المتمكنين الذين جمعوا بين العلم ومخافة الله عز وجل.

يقول تعالى: ﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

* وعلى الطبيب المسلم أن يضمّ إلى معلوماته الطبية التي درسها في الكتب الطبية الحديثة ما ثبت عن رسول الله ﷺ في الطب النبوي، وسأشير إلى بعض ما ورد في ذلك.

* فمن ذلك ما جاء في الحبة السوداء:

عن عائشة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» قلت: وما السام؟ قال: «الموت» رواه

(١) البخاري «الفتح» ٦/ ١٤٢ برقم ٣٠٠٦، ومسلم ٤/ ١٠٤ وفي ط عبد الباقي برقم ١٣٤١، وانظر رسالتنا «تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البخاري[١].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الحبة السوداء شفاء من كل داء» رواه البخاري ومسلم[٢].

* ومن ذلك ما جاء في العسل:

قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].

وعن أبي سعيد أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه فقال ﷺ: «اسقه عسلاً» ثم أتاه الثانية فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه الثالثة فقال: «اسقه عسلاً» ثم أتاه فقال: فعلت فلم يزده إلا استطلاقاً. فقال: «صدق الله وكذب بطن أخيك. اسقه عسلاً» فسقاه فبرأ. رواه البخاري، ومسلم، والترمذي[٣].

* ومن ذلك ما جاء في التمر:

عن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تصبح بسبع

---

(١) صحيح البخاري «الفتح» ١٠/ برقم ٥٦٨٧.

(٢) «صحيح البخاري» «الفتح» ١٠/ برقم ٥٦٨٨، ومسلم برقم ٢٢١٥.

(٣) «صحيح البخاري» ١٠/ برقم ٥٦٨٤، ومسلم برقم ٢٢١٧، والترمذي برقم ٢٠٨٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سمّ ولا سحر" رواه البخاري، ومسلم[١].

* ومن ذلك ما جاء في التقلل من الطعام:

عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وابن ماجه[٢].

* ومن ذلك ما جاء في الرقية بالقرآن:

عن عائشة أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوّذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن، وأمسح بيده نفسه لبركتها. رواه البخاري[٣].

وعن أبي سعيد الخدري أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ نزلوا على حي من أحياء العرب.. لدغ سيدهم فجعل أحدهم يقرأ بأم القرآن

(١) «صحيح البخاري» ١٠/ برقم ٥٧٦٩، ومسلم برقم ٢٠٤٧.

(٢) الترمذي برقم ٢٣٨٠، وابن ماجه برقم ٣٣٤٩.

(٣) «صحيح البخاري» ١٠/ برقم ٥٧٣٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويجمع بزاقه ويتفل فبرأ. رواه البخاري[١].

* ومن ذلك استعمال الماء البارد في علاج الحمّى:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الحمى من فيح جهنم فأطفئوها بالماء» رواه البخاري، ومسلم[٢].

وعن أسماء أنها كانت تؤتى بالمرأة الموعوكة (أي المضطربة بشدة حرارة الحمّى) فتدعو بالماء فتصبه في جيبها، وتقول: إن رسول الله ﷺ قال: «أبردوها بالماء» وقال: «إنها من فيح جهنم»، رواه البخاري، ومسلم[٣].

هذا وقد تكون الحمّى نافعة كما ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد[٤].

وقد ذكر لي بعض الأطباء أن بعض الأمراض يكون من علاجها إحداث الحمّى الصناعية، وهناك مدرسة في أمريكا تعالج بها الآن، ويقوم عليها الدكتور أحمد القاضي.

* وعليه أن يبدأ معالجته المريض بالبسملة.

---

(١) «صحيح البخاري» ١٠/ برقم ٥٧٣٦.

(٢) «صحيح البخاري» ١٠/ برقم ٥٧٢٣، و«صحيح مسلم» ٤/ برقم ٢٢٠٩.

(٣) «صحيح البخاري» ١٠/ برقم ٥٧٢٤، و«صحيح مسلم» ٤/ ٢٢١١.

(٤) «زاد المعاد» ج٤ ص٢٦-٢٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* وعليه أن يذكّر مريضه بتقوى الله، وأن المعصية قد تكون من أسباب المرض أو البلاء.

* وعليه أن يستفيد من تجارب الآخرين بعد أن يتأكد من صحتها، وأن يسأل قبل وصفه الدواء الجديد زملاءه عن تجاربهم العملية، ويسجل ما يحدث له من مثل هذه التجارب.

* وعليه أن يعنى بالأمور النفسية، كأن يقنع مريضه بأن حالته طيبة، ولو أنه قايس نفسه بغيره من المرضى لوجد أنه بنعمة كبيرة.

ذلك أن المريض عندما يقتنع بأن مرضه هين، وأنه في طريقه إلى العافية يتقدم بخطى واسعة نحو الشفاء، والوهم قتّال، وكثير من الأمراض ناشئة عن الوهم.

* وعليه أن يذكر لمريضه ما جاء عن رسول الله ﷺ من أن المرض يكفّر الذنوب من نحو قوله ﷺ فيما رواه جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب فقال: «ما لك يا أم السائب تُزفزفين؟» [أي ترتعدين] قالت: الحمّى لا بارك الله فيها. فقال: «لا تسبي الحمّى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يُذهب الكيرُ خبث الحديد»، رواه مسلم[1].

(١) «صحيح مسلم» ٤/ برقم ٢٥٧٥.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

* وعليه أن يعلم أنّ في ذلك تفريج كربة عن مسلم ويقول رسول الله ﷺ: «من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته. ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله بها عنه كربة من كرب يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم[1].

* وعليه أن يهتمّ بمريضه؛ فلا يتسرّع في تشخيص المرض.. بل يبذل جهده كلّه في معاينته ومساءلته، والرجوع إلى الكتب الطبية، وعليه أن يكون دقيقاً في التفريق بين الحالات المتشابهة، ولا يشغل نفسه بمريضين أو ثلاثة في آن واحد، كما يفعل بعض الأطباء، فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

أعرف طبيباً[2] من الرعيل الأول كان لا يستقبل في يومه إلا مريضين أو ثلاثة.. ولكنه كان يمضي مع المريض ساعتين أو أكثر، ويرجع بين الفينة والأخرى بعد سماع كلام المريض إلى المجلدات التي ملأت عيادته. وقلّما زاره مريض إلا عوفي.

وكان - رحمه الله - يُصرّ على مرضاه أن يشتروا الدواء من صيدلية رجل ديّن موثوق به، يقوم بواجبه كما يقوم الطبيب، ولم تكن الأدوية

(١) «صحيح البخاري» ٥/ برقم ٢٤٤٢، ومسلم ٤/ برقم ٢٥٨٠.

(٢) هو الدكتور سامي الساطي، ومثله فيما بلغني الدكتور سعيد السيوطي رحمهما الله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في ذاك العهد جاهزة كما هي الآن، ولكنها كانت مركبة، يصف الطبيب مواد معينة، ويحدّد مقدار كل مادة بالوزن.

وكان - يرحمه الله- يسمّي الله ويذكر الله، ويقرأ ما يتيسر من القرآن. وفي نهاية المعالجة كان يوصي مرضاه بتقوى الله.

هذا نموذج راق من الأطباء، ويقابلهم نموذج آخر لا يعتنون ولا يهتمون.

يتخذ بعضهم غرفاً عدة للمعاينة، فيقضي أحدهم مع المريض لحظات، وقد يستعمل السماعة وربما لا يستعملها، ويكتب للمريض الوصفة دون أن يكون قد استوعب حالته، وينتقل إلى غرفة أخرى، ويكون حاله مع المريض الموجود فيها مثل حاله مع المريض السابق، ولا همَّ له إلا أن يستكثر من المعاينات السريعة المبتسرة ويأخذ المال، وهذا غير جائز لأن رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يقتنه»[1].

* وهناك طبيب يعالج المريض ويكتب له الدواء، ثم يقول: عليك أن تأتي بعد أسبوع، مع العلم أنه لا حاجة للمراجعة، فيأتي المريض فيتظاهر الطبيب أنه يفحصه ويضع السماعة على صدره،

(١) انظر «مختصر المقاصد» بتحقيقنا رقم ٢١٧، وانظر «صحيح الجامع الصغير» وفيه أنه حسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويطالب بالأجرة. هذا غشّ وتدليس.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من غشنا فليس منا» رواه مسلم[١].

وفي رواية عنه: «ليس منا من غشّ» رواه أبو داود، وابن ماجه[٢].

وفي رواية عنه: «من غش فليس منا» رواه الترمذي[٣].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا غش بين المسلمين. من غشنا فليس منا» رواه الدارمي[٤].

* وقد بلغني أن بعض وكلاء شركات الأدوية يتعاقد مع بعض الأطباء على أن يصف هذا الدواء وله نسبة معينة من قيمة الدواء، فيعمد هذا الطبيب إلى وصفه ولو لم يكن مريضه بحاجة إلى هذا الدواء. والمال الذي يأخذه الطبيب في هذه الحالة سحت، وهذا لا يجوز لأنه قد يكون المريض فقيراً، وقد يكون استعمال الدواء لمن لا يحتاج إليه ضاراً. قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن

(١) مسلم ١/ برقم ١٠١.

(٢) أبو داود ٣/ برقم ٣٤٥٢، وابن ماجه ٢/ برقم ٢٢٢٤.

(٣) الترمذي ٣/ برقم ١٣١٥.

(٤) الدارمي ٢/ ص ٢٤٨.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ٦٣].

* وعليه أن يترفع عن سلوك بعض الطرق المذمومة كأن يتخذ سماسرة يأتون له بالمرضى، على أن يعطيهم نسبة مما يدفعه كل مريض، ويرفع هو الأجرة عن المريض المسكين، فهذا المسلك لا يليق بهذه المهنة الشريفة.

* وقد حدثني رجل من أهل العلم أنه مرض فقصد أشهر طبيب في بلده.. ولكن هذا الطبيب كان (قليل الوجدان) فوصف له دواء، وطلب منه أن يأتيه بعد أسبوع، ولما جاء إليه في الموعد المحدّد قال له: أعد الدواء، دون أن يفحصه. ويبدو - كما تبين له فيما بعد- أنّ إعادة استعمال الدواء غير مفيدة، وأنّه كان ينبغي أن يعطى دواء آخر. ولما لم يأخذ ذاك الدواء أصيب بعاهة دائمة في وجهه.. ولما حاول علاجها قيل له: لقد فات الوقت.

* وهناك حالات يؤدي فيها إهمال الطبيب وتفريطه وعدم شعوره بالمسؤولية إلى وفاة المريض.. وهذا الإهمال -إن كان متعمداً- جريمة دون شك.

ولئن نجا هذا الطبيب من العقاب في الدنيا إنه لا ينجو بين يدي الله تعالى؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨] ويقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢- ٤٣]، ولا يقال في الاعتذار عن إهمال الطبيب في مثل هذه الحالة: إن الميت قد مات بأجله، فهذا صحيح، ولكن المقتول أيضاً مات بأجله. فهل يُعفي تقرير هذه الحقيقة القاتل من القصاص؟

* وعلى الطبيب أن يكون لبقاً مع مرضاه متلطفاً بهم، فلا يقول لهم ما يوهنهم أو يوقعهم في اليأس.

حدثني شيخنا الشيخ زين العابدين التونسي - رحمه الله- أنه كان له صديق طبيب، فمرّ به زائراً لا مستطباً. فقال له الطبيب: أريد أن أفحصك لأطمئنَّ عن صحتك.. فقال: جزاك الله خيراً، لك ما تريد ولك الفضل.

وبعد أن (عاينه) قال له: يا سيدي وضعك في منتهى الخطورة، وأشار له بيده إشارة معينة.

قال الشيخ: والله لقد انقطع قلبي بها، ثم قدّم له مجموعة من الأدوية بعضها قبل الأكل، وبعضها بعد الأكل وقال: إني أرجو أن أراك بعد أسبوع.

خرج الشيخ من عيادته ورجلاه لا تحملانه.. ثم قال لنفسه: إنني أدري بنفسي- وإني والله بخير، فرمى بالأدوية جانباً، ولم يعد لبيته،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنه خشي إن عرف أهله ما قال له الطبيب الصديق أن يوهموه على نفسه، بل قام برحلة زار فيها حمص وحماة وحلب واللاذقية وطرابلس وبيروت، وعاد إلى دمشق معافىً نشيطاً.

إن هذا الطبيب - جزاه الله خيراً - أراد أن يُحذّر صديقه وينصح له، ولكنه لم يكن لبقاً ولا متلطفاً.. ولولا أن الشيخ رحمه الله قاوم ترهيب ذاك الطبيب لكان حقاً من المرضى.. لأن للحالة النفسية للإنسان تأثيراً في الحالة الجسمية.

* وعليه أن يراعي نفسية المريض، ويلجأ إلى الأساليب التي تعين على التخلص من الأوهام، فكثير من المرضى يكونون من المصابين بوهم المرض.

قال أستاذنا الشيخ علي الطنطاوي[1]:

[وهذا العلامة الشيخ الخضري، أصيب في أواخر عمره بتوهّم أنّ في أمعائه ثعباناً، فراجع الأطباء، وسأل الحكماء، فكانوا يدارون الضحك حياءً منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود، ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدّق.

حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب، بصير بالنفسيات، قد سمع

(١) «صور وخواطر» ص ١٥، طبعة دار المنارة بجدة، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بقصته، فسقاه مسهلاً، وأدخله المستراح، وكان وضع له ثعباناً، فلما رآه أشرق وجهه، ونشط جسمه، وأحس بالعافية، ونزل يقفز قفزاً، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه، يلهث إعياء، ويئن ويتوجع، ولم يمرض بعد ذلك أبداً.

ما شفي الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار].

* وعلى الطبيب أن يكون همُّه مساعدة المريض، وابتغاء الأجر من الله، وعليه ألا تستولي عليه النزعة المادية، أعني ألا يكون عبداً للمال، فقد قال ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعطَ لم يرض» رواه البخاري[1].

بل عليه أن يقنع بالقليل، ويراعي حال المريض إن كان فقيراً معدماً. فهذا الخلق من الأخلاق المهمة جداً بشأن الطبيب، وسيعود عليه التزامه بهذا الخلق برضى الله ومحبة الناس والفائدة المادية أيضاً.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس» متفق عليه[2].

---

(١) البخاري «الفتح» ١١/ برقم ٦٤٣٦.

(٢) البخاري «الفتح» ١١/ برقم ٦٤٤٦، ومسلم برقم ١٠٥١، والترمذي برقم ٢٣٧٤، وأحمد ٢/ ٢٤٣.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم ورُزق كفافاً وقنّعه الله بما آتاه" رواه مسلم[١].

* وعليه أن يصبر على ما يلقى من المرضى من الأسئلة أو التصرفات، وأن يرفق بهم، وألا يفرق بينهم لاعتبارات مادية أو اجتماعية.

قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه» رواه مسلم[٢]، وقال: «من يحرم الرفق يحرم الخير كله» رواه مسلم وأبو داود[٣].

* وعليه أن يكتم ما يقف عليه من معلومات تتعلق بالمريض، وألا يبوح بما يُسِرّ به إليه مهما كان الأمر[٤].

وهذا ما نجده محققاً في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد

---

(١) مسلم برقم ١٠٥٣.

(٢) مسلم برقم ٢٥٩٤.

(٣) مسلم برقم ٢٥٩٢، وأبو داود ٤٨٠٩.

(٤) انظر مقال د. منصور النزهة بعنوان: أخلاقيات مهنة الطبيب في جريدة (عكاظ) تاريخ ٢٤ ذي القعدة ١٤١٤هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أبو بكر لعمر: فلم أكن لأفشي سرّ رسول الله ﷺ[١]. وذلك في قصة عرض عمر حفصة عليه.

وكذا قالت فاطمة لعائشة عندما سألتها عن مضمون إسرار رسول الله لها. قالت: «ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرّه»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يستر عبدٌ عبداً في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «.. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة»[٤].

* وعليه أن يصارح المريض بما سيكون عليه أمره فيما لو لم يلتزم بالنصائح الطبية[٥]. وذلك من النصح.

---

(١) البخاري بأرقام ٤٠٠٥، ٥١٢٢، ٥١٢٩، ٥١٤٥، وأحمد ١/ ١٢، والنّسائي ٦/ ٧٧ و٨٣.

(٢) «صحيح البخاري» ٦/ برقم ٣٦٢٣، ومسلم برقم ٢٤٥٠.

(٣) «صحيح مسلم» ٢٥٩٠.

(٤) «صحيح مسلم» ٢٦٩٩، وأحمد ٣/ ٤٠٧.

(٥) انظر الحاشية ٥ من ص ٨٠.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول ﷺ: «الدين النصيحة»[١].

وقال جرير بن عبد الله: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[٢].

* وعليه أن يأخذ موافقته على إجراء العملية الجراحية وألا يكتفي بإعطائه الورقة ليوقّع عليها، ولربما كان لا يعرف مضمونها.

* وعليه ألا يجعله مجالاً لاختبار شيء من الأدوية الجديدة إلا بعد استشارته، وذلك إن كان استعمال هذا الدواء لا يلحق به ضرراً[٣]. وإن لم يفعل فقد ظلمه وأساء إليه، والله تبارك وتعالى يقول في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا»[٤].

ويقول رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

---

(١) «صحيح مسلم» ٥٥، وأبو داود ٤٩٤٤، والنّسائي ٧/ ١٥٦.

(٢) «صحيح البخاري» برقم ٥٧، ومسلم ٥٦، وأبو داود ٤٩٤٥، والنسائي ٧/ ١٥٢.

(٣) من مقال د. منصور النزهة المذكور بصفحة ٨٠.

(٤) «صحيح مسلم» ٨/ ١٧، وانظر شرحنا لهذا الحديث في كتابنا: «من هدي النبوة» ص ٨٢ إلى ص ١٢٦.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يسلمه»[١].

ويقول: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله»[٢].

* وعليه ألا يدّرس الأطباء المتدربين أو طلبته في الكلية حالة المريض إلا بعد استئذانه، وألا يجعل هذا الأستاذ الطلبة المبتدئين يفحصون جسمه إلا بعد استئذانه[٣].

* وعليه ألا يطعن في زميل من زملائه بالباطل ولا بالحق حتى يجعل الزبائن يأتون إليه، بل ليعلم أنّ الرزق بيد الله.

والطعن في زملائه غيبة محرّمة؛ يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]

وقد سئل رسول الله ﷺ: أي المسلمين أفضل؟

فقال: «من سلم المسلمون من لسانه ويده». متفق عليه[٤].

وقال ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم

---

(١) «صحيح البخاري» ٥/ برقم ٢٤٤٢، وصحيح مسلم ٢٥٨٠.

(٢) الترمذي برقم ١٩٢٨.

(٣) من مقال د. منصور النزهة المذكور بصفحة ٨٠.

(٤) «صحيح البخاري» ١/ برقم ١١، و«صحيح مسلم» برقم ٤٢.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلّغت؟»[١].

* وعليه ألا يأنف من سؤال من هو أعلم منه إذا واجه حالة مرضية لم يستطع أن يعرف كنهها ولا طريقة معالجتها.

* وعليه أن يحترم كل من يتعامل معه من مرضى وأولياء للمرضى وممرضين وخدم؛ فهذا يجعله موضع احترام من الآخرين، ومن تواضع لله رفعه الله.

يقول ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»[٢].

* وعليه أن يصغي إلى شرح المريض لحالته ولمرضه الذي يشكو منه، ويبدي له اهتمامه بما يقول، ويدعه يتكلم ويستوضحه إن كان في كلامه غموض. وكلما كان أعلم بلهجة المريض كان أقدر على تشخيص المرض.

ولا يزهد في الرجوع إلى المصادر والكتب الطبية بحضور المريض إن كانت هناك ضرورة لهذا الرجوع.

* وعلى الطبيب أن يتقي الله، وأن يخلص النية في عمله، وأن يحمد

---

(١) «صحيح البخاري» ١/ برقم ١٠٥، و«صحيح مسلم» برقم ١٦٧٩.

(٢) «صحيح مسلم» برقم ٢٥٦٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله أن عافاه مما ابتلى به كثيراً من الناس.

* وعليه أن يحذر من الخلوة بالمرأة الأجنبية[١] عنه سواء كانت مريضة أو ممرضة أو زميلة. يقول ﷺ: «لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها محرم»[٢].

نعم إن التدين ومخافة الله تحول بين المرء وبين الوقوع في المخالفة، ولكن علينا أن نذكر قول يوسف عليه السلام الذي قصّه علينا ربنا في القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٣- ٣٤].

ومن هنا تحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية مهما كان مستوى كل منهما عالياً في التدين والتقوى.

والطبيب إنسان معرّض للفتنة مثل أي إنسان آخر، فلا يجوز له أن يعاين مريضة ليس معها محرم، أو يخلو بممرضة، وليس له أن ينظر إلى ما لا تدعو الحاجة إلى النظر إليه؛ إنه امتحان... ونحن نريد للطبيب النجاة والنجاح، وإذا وُجدت الطبيبة المختصة فلتكن هي

(١) انظر رسالتنا «تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية والاختلاط المستهتر».

(٢) صحيح البخاري «الفتح» ٦/ ١٤٢ برقم ٣٠٠٦، و«صحيح مسلم» ١٣٤١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التي تتولى معاينة المريضة لا الطبيب إلا في حالات الضرورة، أو إذا تعيّن الطبيب لتخصصه.

إن في حياتنا أوضاعاً منكوسة؛ فلماذا تكون مهنة التمريض مقصورة غالباً على النساء؟!

لماذا لا يكون ممرضون للرجال وممرضات للنساء؟ لا بُدّ من إعادة النظر في كثير من أمورنا الطبية بعد أن تقدمنا - والحمد لله- في تحصيل المعرفة الطبية... هناك مجال واسع للإصلاح.

المرأة المريضة تراجع الطبيبة المختصّة، وهذه الأخيرة يمكن أن تلجأ إلى من هو أعلم منها من الأطباء والطبيبات، تسأل عن الرأي السديد فيما يواجهها، شأنها في ذلك شأن الطبيب وشأن كل متخصص، وإن رأت تحويلها إلى طبيب متخصص حوّلتها.

* بقيت مسألة شائكة اختلفت آراء الأساتذة الفضلاء في شأنها: وهذه المسألة: هل يطلع الطبيبُ المريضَ على مرضه الخطير إن هو اكتشفه؟

والشيء الذي يقرره كثير من الأطباء أنه يجب أن يصارحه بحقيقة مرضه.

ولكن هذا في - رأيي- ليس على إطلاقه.. بل ينبغي أن يدرس

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حالته النفسية، فإن وجد أن المريض سينهار إذا عرف الحقيقة فلا مانع من إخفائها مع الجِدّ في المعاينة والعلاج؛ ذلك لأن الناس يتفاوتون في تحمل ما يصيبهم، وقد تكون حالة المريض النفسية تزيد في ألمه وجزعه؛ فهناك ناس إذا عرفوا امتنعوا عن الطعام والشراب وأخْذ الدواء، وهناك ناس يتقبلون قضاء الله وقدره بنفس راضية مطمئنة، وهنا تظهر لباقة الطبيب وكياسته وحسن تصرفه بالأمور.

أما بالنسبة لأهل المريض فيحسن أن يخبرهم بما آل إليه اجتهاده، كأن يذكر لهم أن الوقائع الطبية تدلّ على قرب وفاة قريبهم، ويتبع ذلك بأن هذا هو الذي دلّت عليه الفحوص، والأجل بيد الله، وكم من حالة قرر الأطباء فيها أمراً ثم تبيّن أن هذا الأمر لم يتحقق.

ومع ذلك فَيُسرُّ لهم بألا يمنعوه شيئاً مما يريد ويوصيهم بأن يعملوا على تهيئة جوّ ديني روحي يمضي فيه ما تبقى من أيام حياته.

* هذا وقد يتعرف الطبيب في أثناء مراجعات الناس له على أحوال بعض المرضى المادية، فإذا وقف على فقرهم فعليه أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يساعدهم مادياً، وليحمد الله أنْ يسّر له السبيل إلى دفع زكاته لمن يستحقها، وربما كان هذا العمل عوناً على الوصول إلى الشفاء.

إن مما يؤسف له أن الطب في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها أصبح تجارة بحتة، وقد ابتعد عن الروح الإنسانية التي ينبغي أن لا تفارقه أبداً.

* وليسخّر الطبيب المسلم مهنته في الدعوة إلى الله، ولينظر إلى أتباع الديانات الباطلة كيف استخدموا الطب للتبشير بدينهم.

ولْيؤثر المسلم ما عند الله فهو خير وأبقى، ولْيذكر قول رسول الله ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم» متفق عليه[1].

إن الجهل بالإسلام منتشر بين كثير من المسلمين، فلْيجعل الطبيب المسلم مهنته وسيلة لشرح مبادئ الإسلام العظيم.

(١) البخاري ٧ برقم ٣٧٠١، ومسلم ٢٤٠٦، وأحمد ٥/ ٣٣٣، وأبو داود ٣٦٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقول ﷺ: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً»[1].

* وحسنٌ أن يسجّل الطبيب ما مرّ به من الطرائف، وأن يسجّل ما استفاده من الممارسة والتطبيق؛ لأن كل صاحب مهنة يتعلم في كل يوم يعمل فيه شيئاً جديداً ليس موجوداً في الكتب. إنه بعد حين سيجد مذكّرة مملوءة بالفوائد والطرائف.

وأخيراً يا أيها الإخوة والأطباء إن مهنتكم شريفة، وإن أثركم كبير، وإن مسؤوليتكم ضخمة.

وإن بقاء الأمر دون التزم برأي الإسلام وحكمه يولّد خطراً محققاً لا متوهماً، فكم من شاب كان في أثناء دراسته مثال الاستقامة أضحى بعد أن مارس هذه المهنة على غير ما كان عليه، وقد قرأت كثيراً من أخبار الحوادث الفظيعة التي نشرتها الصحف، وما لم تنشره أكثر..،

(١) مسلم ٨/ ٦٢ وفي ط عبد الباقي برقم ٢٦٧٤، وأبو داود ٢/ ٢٦٢، والترمذي ٢٦٧٤، والدارمي ١/ ١٢٦، وابن ماجه ١/ ٩١، وأحمد ٢/ ٣٩٧.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكذلك فقد سمعت الكثير من القصص المؤلمة فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وأوصي نفسي وإخوتي الأحبة بتقوى الله وبالصبر وبالرحمة والسلام عليكم ورحمة الله.

وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد	٧
أخلاق الطبيب	١٧
الأخلاق في الإسلام	١٩
الانهيار الخلقي المعاصر	٣٧
أخلاق الطبيب	٥١
أخلاق خاصة بالطبيب	٥٧
فهرس الموضوعات	٨٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب